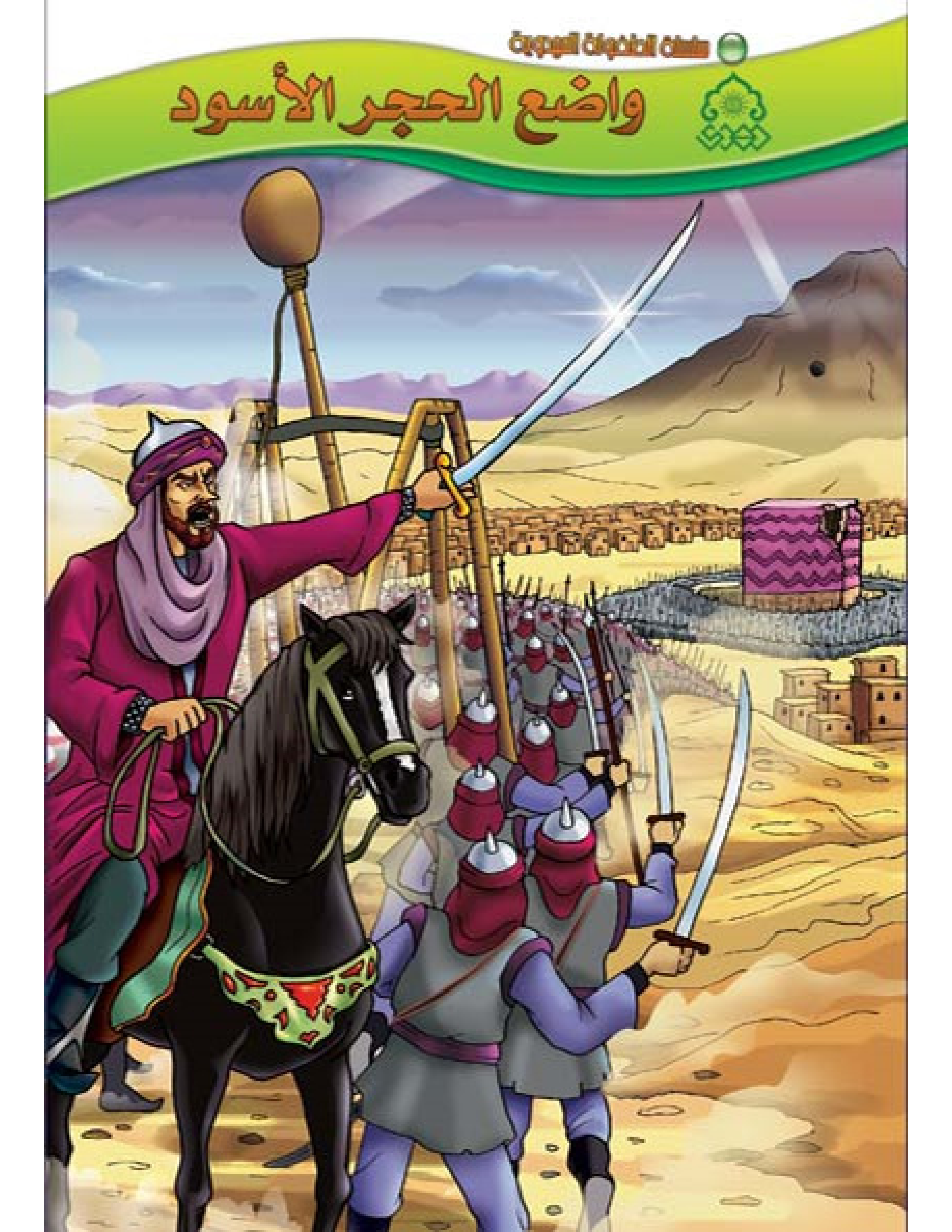
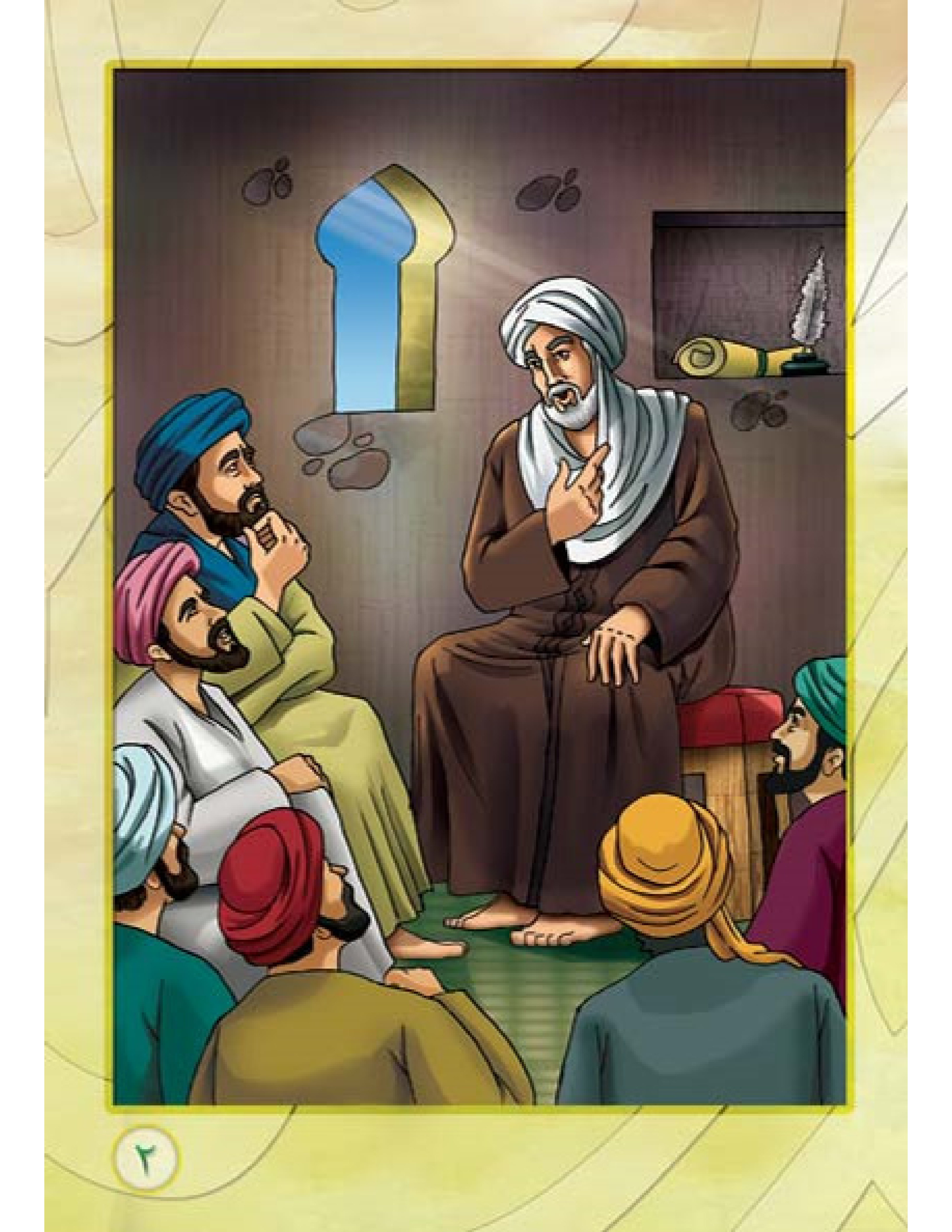


واضع الحجر الأسود

واضع الحجر الأسود

الشيخ ابن قولويه: السلام عليكم أيها الأصدقاء ورحمة الله وبركاته، اسمي (جعفر بن محمد) والمشهور بـ(ابن قولويه) ولدت في قم في زمن الغيبة الصغرى ونشأت بها ودرست العلوم الدينية حتى أصبحت فقيهاً معروفاً ثم درست علم الحديث واستمعت إلى كبار علمائها فأصبحت راوياً معروفاً للحديث، ألفت العديد من الكتب وكان أشهرها كتاب (كامل الزيارات) في فضل زيارة النبي ﷺ وأهل بيته ﷺ وعندما كنت في عمر الشباب وبالتحديد في عهد السفير الثالث الحسين بن روح النوبختي حدث أمر خطير في سنة ٣١٧هـ وهو أن القرامطة قاموا بالهجوم على مكة المكرمة في موسم الحج وقتلوا حجاج بيت الله الحرام



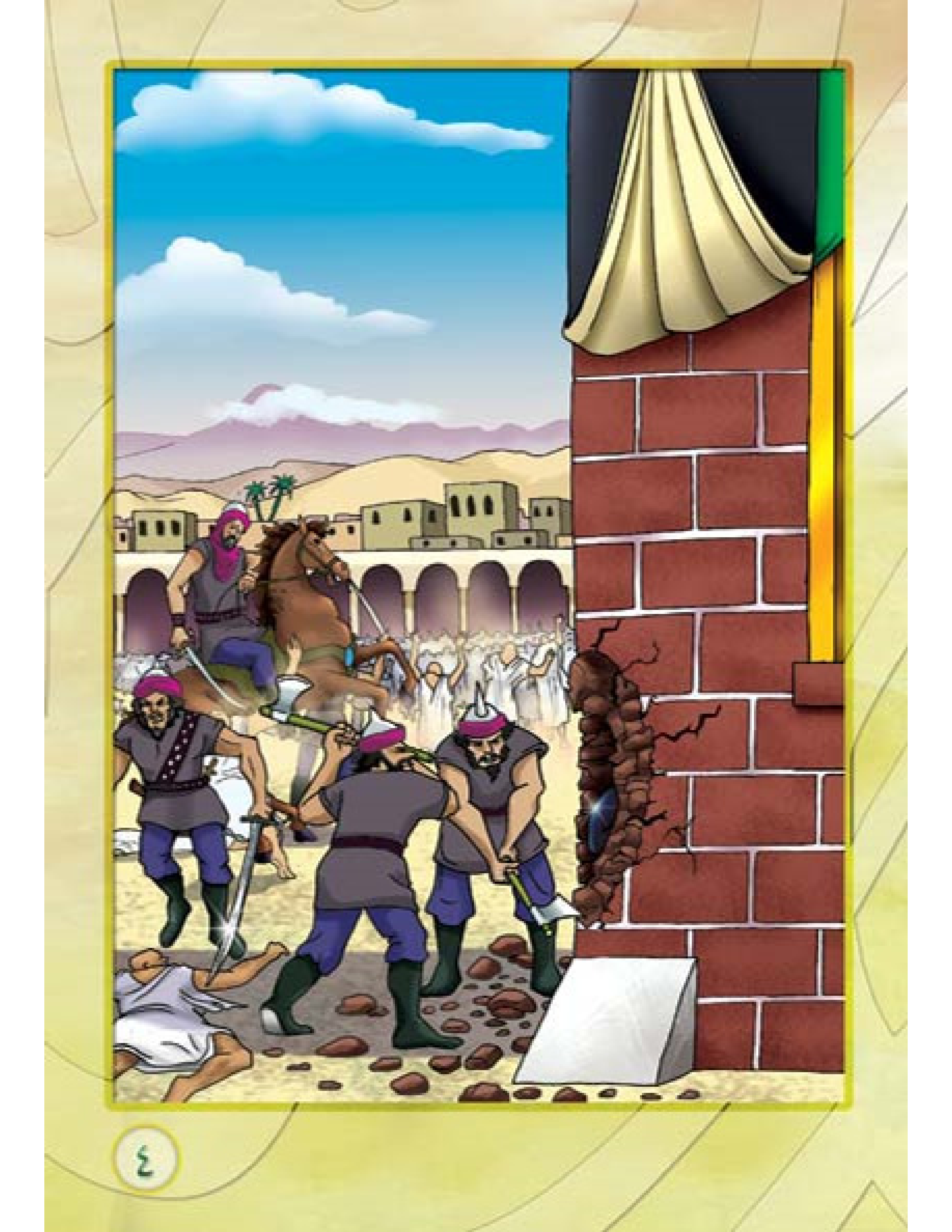
الحرام وقلعوا الحجر الأسود من مكانه ونقلوه معهم إلى منطقة الاحساء حيث مقرهم هناك.

ماذا يا أصدقائي الأعزاء..؟ هل تريدون معرفة من هم القرامطة؟ ومن هو زعيمها..؟ حسناً سأخبركم بذلك.

القرامطة هي فرقة منحرفة عن خط أهل البيت ﷺ وزعيمها هو الحسن بن بهرام الجنابي وهو من مدينة جنابة في إيران، وكان أول أمره يبيع الطحين في مدينته وكان منحرفاً فنفاه أهلها عنهم. فذهب إلى البحرين وهي الجهة الشرقية من جزيرة العرب ومارس التجارة حتى أصبح تاجراً معروفاً، وأخذ يدعو الناس إليه فتبعه جماعة منهم وشيئاً فشيئاً أصبح ذا قوة عظيمة فسيطر على بلاد البحرين، فأخذ يقطع الطريق على الحجاج، وقام ابنه سليمان بالهجوم على مكة ونقل الحجر الأسود منها كما أخبرتكم بذلك.

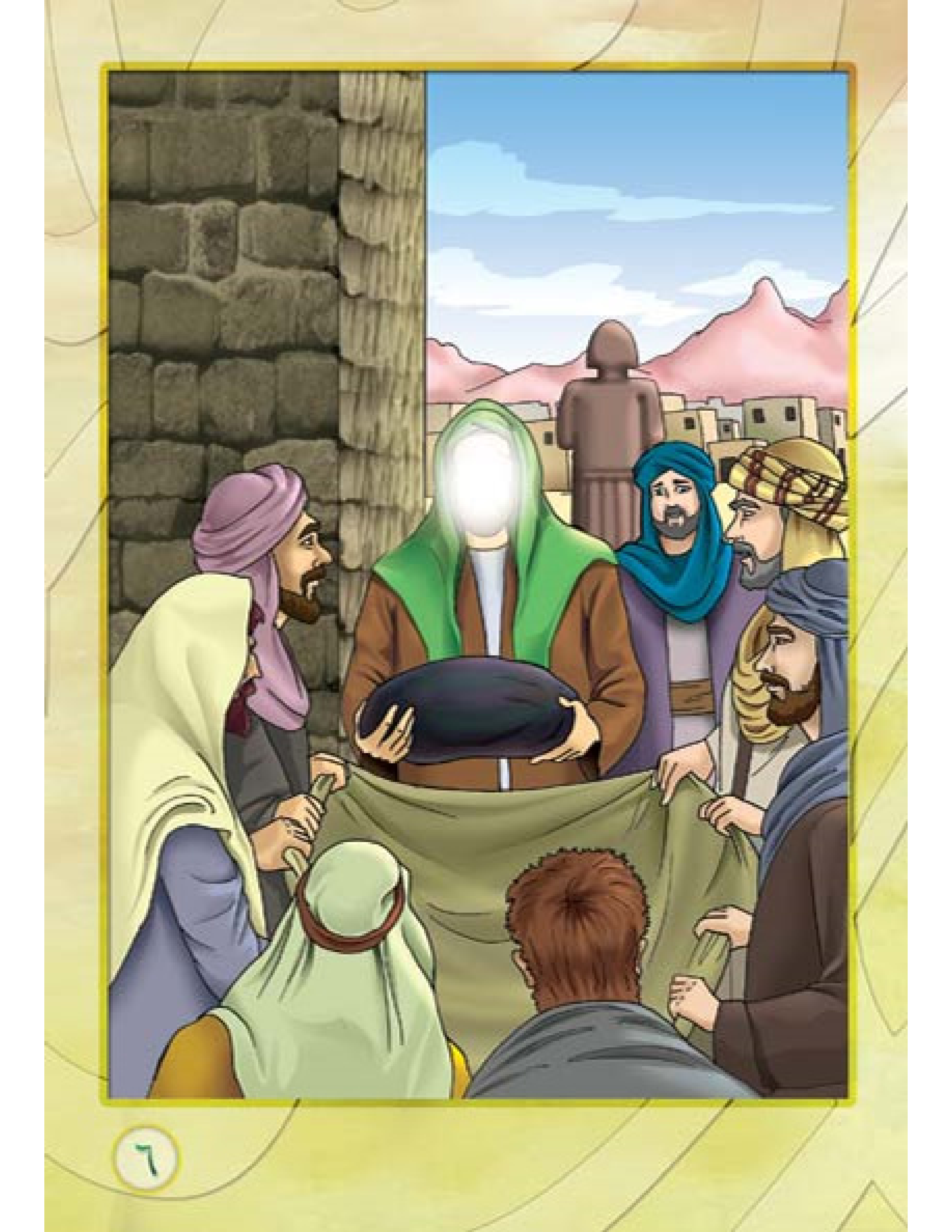
وبعد هذه المقدمة ترغبون في معرفة ما هي قصتي وما علاقتي بالإمام المهدي ﷺ حسناً سأخبركم بها.

ففي سنة ٣٣٩هـ أي بعد ٢٢ عاماً من حادثة قتل الحُجّاج في مكة عزمت على السفر لأداء فريضة الحج فجمعت وسائلي وتوجّهت مع القافلة من قم إلى بغداد أولاً ولما وصلت إلى هناك حدث أمر هام وهو أن القرامطة وافقوا على إرجاع الحجر الأسود إلى مكانه في بيت الله الحرام



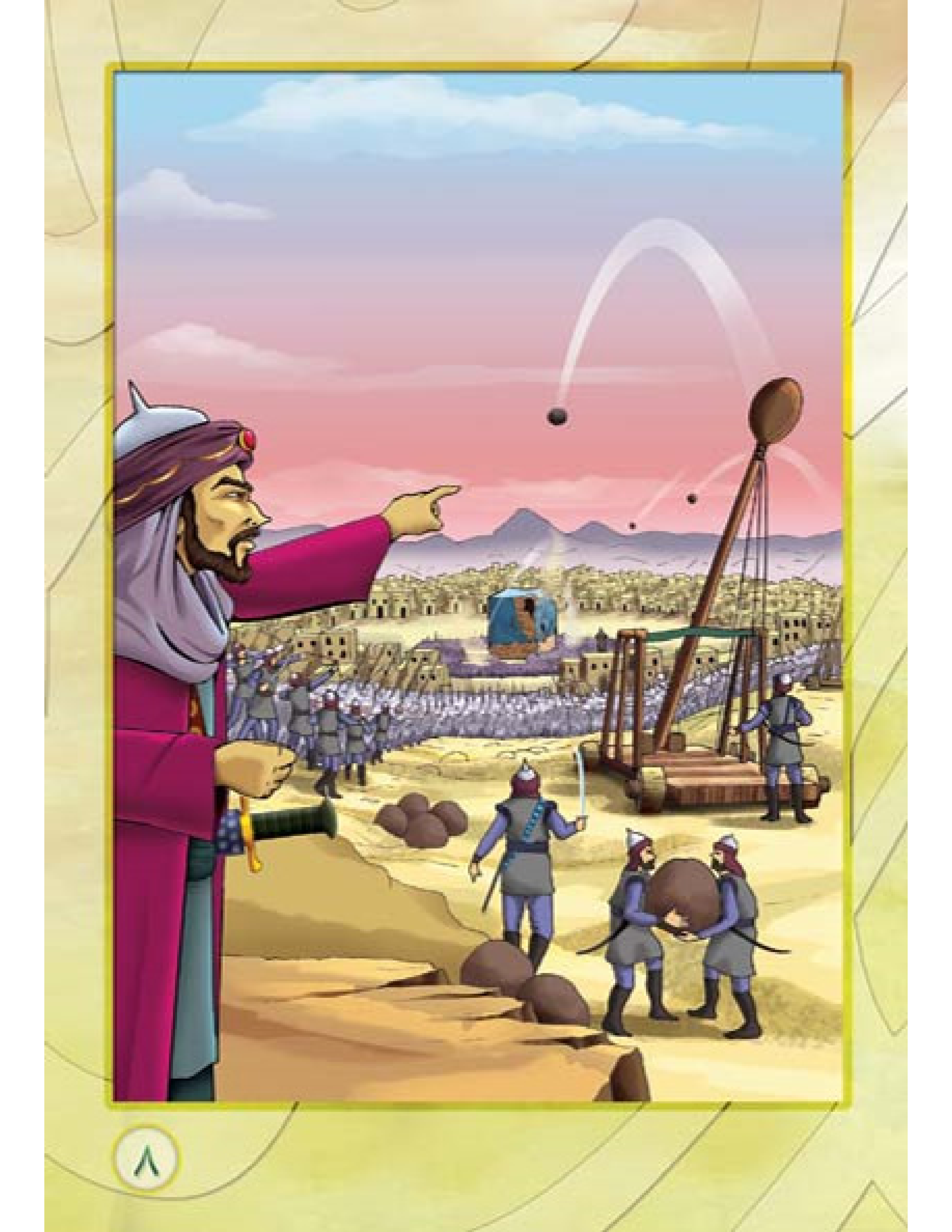
وأصبح هذا الأمر حديث الناس في جميع المحافل. وصار أكبر همي أن أصل إلى مكة وأرى من الذي سيضع الحجر الأسود في مكانه... أتعلمون لماذا؟.. لأن الذي سيضعه في مكانه هو إمام العصر والزمان أي الإمام المهدي ﷺ كما حدث ذلك مع النبي ﷺ والإمام زين العابدين ﷺ... هل تريدون معرفة ما حدث معهم؟ حسناً سنبدأ أولاً بقصة النبي ﷺ ووضعه للحجر الأسود في مكانه.

ذات سنة ـ قبل بعثة النبي ﷺ ـ انحدر سيل من أعلى جبال مكة نحو الكعبة فخربها وصدَّع جدرانها، فأرادت قريش أن تهدم الكعبة وتعيد بنائها من جديد ففعلوا ذلك، ولما آن وضع الحجر الأسود في مكانه اختلفوا فيما بينهم، وأراد كلٌ واحد أن يكون له هذا الشرف العظيم فنشب الخلاف واحتدَّ الخصام عدة أيام حتى كاد القتال أن يقع بينهم فاتفقوا أن يحكّموا أول من يدخل من باب المسجد فدخل رسول الله ﷺ فقالوا: هذا الأمين قد جاء فحكّموه وليس أفضل منه خُلُقاً ولا أعدل منه حَكَماً! وصل النبي ﷺ وحيّا القومَ ووقف بينهم، فطلبوا منه أن يحكمَ في الأمر بعد أن عرضوه عليه... فأدار ناظريه في جوانب الكعبة، ثم رفع برأسه نحو السماء... وبعد لحظات قال للقوم: اجلبوا لي ثوباً.



فجاؤوه بالثوب، فأخذ الحجر ووضعه بيده فيه، والجميع ينظرون إليه مشدوهين ثم قال لهم، ليأخذ كبيرُ كلٍّ قبيلة بطرف من أطراف هذا الثوب، وارفعوه جميعاً... فأعجبهم ما حكم به وأرضاهم وفعلوا ما أمرهم به، عندها اعتلى النبي ﷺ إلى موضع الحجر الأسود من البناء، ثم تناوله، ووضعه بيده الشريفة في مكانه، وبذلك حسم النبي ﷺ خلاف القوم وفضَّ نزاعهم.

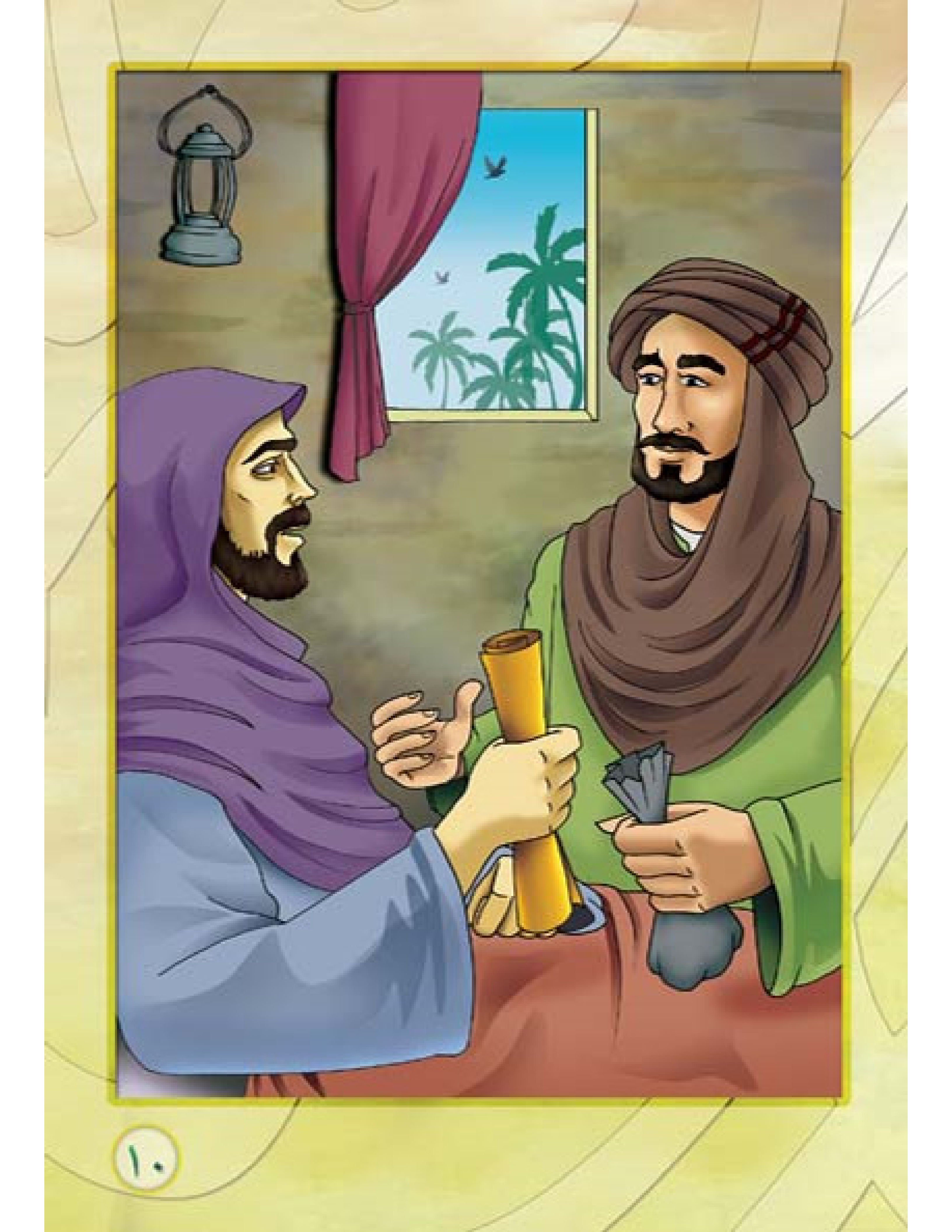
وأما ما حدث مع الإمام زين العابدين ؑ فقد حدثت حرب في زمانه بين عبد الله بن الزبير الذي كان يطمح في الحصول على الحكم وبين الجيش الأموي بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفي، وكان عبد الله بن الزبير قد تحصّن في داخل الكعبة، وكان أنصاره يقاتلون الجيش الأموي في بيت الله الحرام فأمر الحجاج بن يوسف جنوده برمي الحجارة الكبيرة على الكعبة من المنجنيق فهدمها وقتل عبد الله بن الزبير في بيت الله الحرام، ولما انتهت الحرب أراد الحجاج أن يعيد بناء الكعبة من جديد ففعل ذلك، ولما أرادوا أن ينصبوا الحجر الأسود في مكانه طلب الحجاج من العلماء أن يفعلوا ذلك وكلما أراد عالم منهم أن يضعه في مكانه لم يستطع، وبعد ذلك جمع



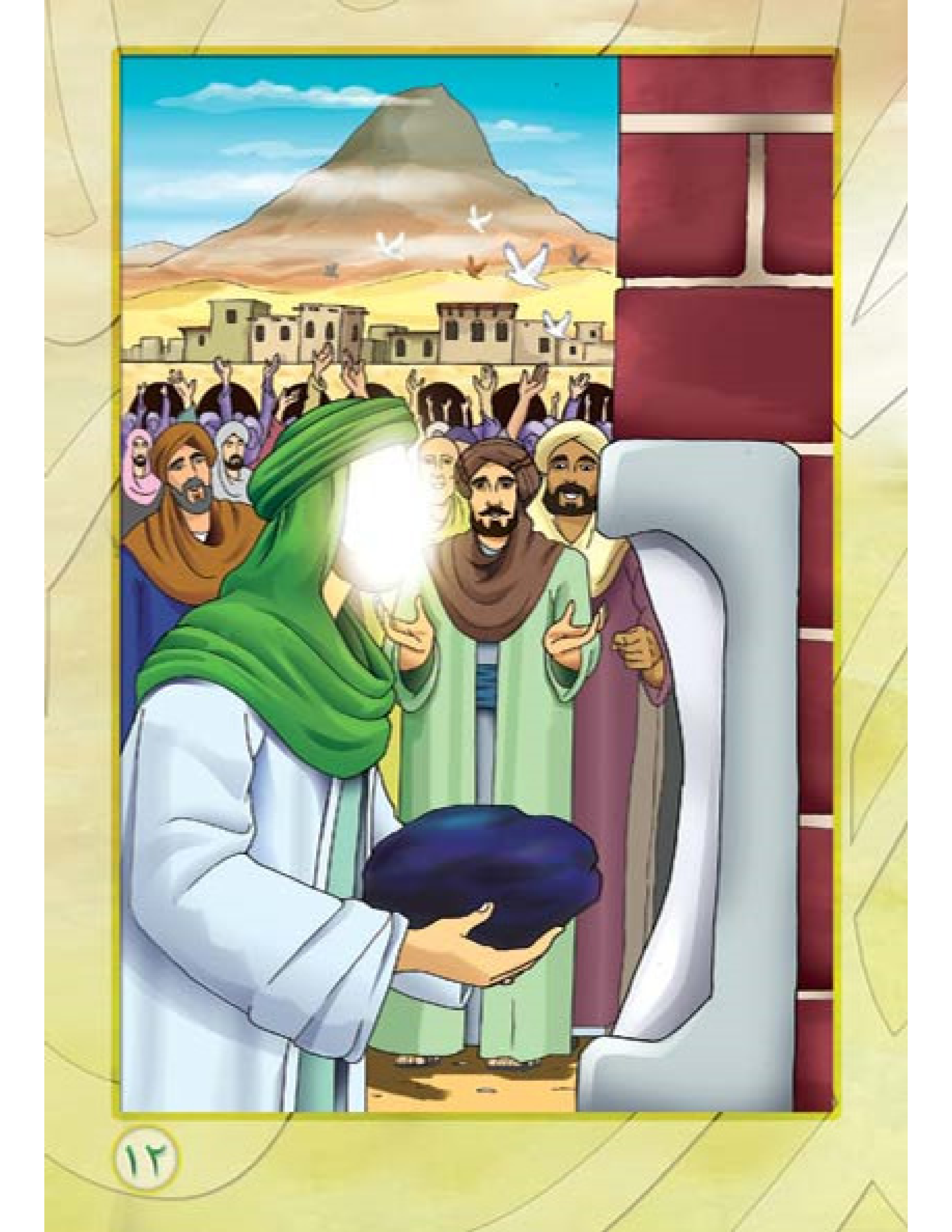
الحجاج قضاته وطلب منهم أن يضعوا الحجر في مكانه ففعلوا ذلك ولكن الحجر كان يتزلزل ولم يستقر في مكانه، فجمع الحجاج زهاد الناس وطلب منهم مثل ذلك فلم يستطع أحد منهم أن يضعه في مكانه فقام الإمام زين العابدين ﷺ وأخذه من أيديهم وقال (بسم الله الرحمن الرحيم) ثم وضعه في مكانه فاستقر، فَعَلَتْ أصوات الناس بالتكبير والتهليل.

وبعد ان حدثتكم بقصة النبي ﷺ ووضعه للحجر الأسود وكذلك قصة الإمام زين العابدين ﷺ أعود مرة أخرى لأكمل لكم قصتي، وكما أخبرتكم بأنني تشوقت لرؤية واضع الحجر الأسود وهو الإمام المهدي ﷺ ولكن حدث أمر أعاقني عن إكمال سفري إلى الحج فقد مرضت في بغداد مرضاً شديداً وأصبحت طريح الفراش لا أستطيع الحراك ولم يتهيأ لي السفر وخشيت على نفسي من الموت فطلبت من صديقي (ابن هشام) أن يذهب نيابة عني إلى الحج، وأعطيته رسالة كتبت فيها سؤالاً إلى الإمام المهدي ﷺ أسأله فيها عن مدة عمري وهل أموت في هذا المرض الذي وقعت فيه أم لا؟ وطلبت من صديقي ابن هشام أن يوصل هذه الرسالة إلى واضع الحجر الأسود في مكانه ومعرفة الجواب منه.

فتعالوا يا أصدقائي واسمعوا ما سيقصه عليكم صديقي ابن هشام.



ابن هشام: السلام عليكم أيها الأصدقاء الأعزاء ورحمة الله وبركاته سأروي لكم ما جرى، بعد أن ودعت صديقي الشيخ (ابن قولويه) ذهبت إلى الحج ولما وصلت إلى مكة كان حديث الناس عن إرجاع الحجر الأسود إلى مكانه، ولما حان ذلك اليوم ذهبت إلى سدنة بيت الله الحرام أي الخدام وأعطيتهم مالاً كثيراً من أجل أن يجعلوا لي مكاناً مناسباً بحيث أتمكّن فيه من رؤية واضع الحجر الأسود وانتخبت منهم جماعة يدفعون عني ازدحام الناس، فحصل لي ذلك، ولما حانت لحظة إرجاع الحجر الأسود قام رجل مبعوث من الخليفة لكي يضعه في مكانه فلم يستطع وقام آخر وآخر وأخذ كل واحد منهم يحاول وضع الحجر الأسود في مكانه ولكن الجميع لم يستطيعوا، وكانت عيني لا تفارق الحجر الأسود وحامله إلا أن أقبل شاب أسمر اللون حسن الوجه وكان جميلاً فأخذ الحجر ووضعه في مكانه فاستقام وثبت في محله. وارتفعت الأصوات بالتكبير والتهليل، وخرج الشاب منصرفاً من الباب، فنهضت من مكاني أتبعه وأدفع الناس عني يميناً وشمالاً حتى ظنَّ بعضهم بأنني مجنون ففسحوا لي الطريق وأنا أسرع في المشي



وكانت عيني لا تفارق ذلك الشاب حتى دخل في شارع فأسرعت السير خلفه، وكان الشاب يمشي على مهل وكنت أسير بسرعة خلفه ولا أستطيع أن أصل إليه ولما وصلنا إلى مكان خالٍ من الناس بحيث لا أحد يراه غيري وقف والتفت إليَّ.

الإمام المهدي ؏: أعطني الرسالة التي معك.

ابن هشام: فدهشت وقلت كيف عرف بالرسالة، فأخرجت الرسالة من جيبي وأعطيتها إياه فلم ينظر اليها وقال لي:

الإمام المهدي ؏: قل لصاحب الرسالة لا خوف عليك من هذا المرض وستموت بعد ثلاثين سنة.

ابن هشام: لم أصدق ما سمعته وسال الدمع من عيني وبكيت من شدة التأثر، ثم تركني وانصرف، ولم استطع أن أتحرك من مكاني وبقيت مدهوشاً، وبعد ذلك رجعت إلى بغداد وأخبرت الشيخ ابن قولويه فبكى من ذلك وشفي من مرضه وبعد ثلاثين سنة مرض الشيخ ابن قولويه وتوفي سنة ٣٦٩ ودفن عند مرقد الإمام موسى الكاظم والجواد؈ في بغداد، وقبره ما يزال موجوداً، والآن أشكركم لاستماعكم لي ولا تنسوا الدعاء للإمام المهدي ؏ بالفرج.

